

## الحرية

"من يطلب من الحرية أكثر من الحرية ذاتها  
ولد لكي يكون عبداً."

لا يوجد تعبيراً أبلغ من هذا الاقتباس من  
المفكر أليكسيس دي توكفيل عن الفكر  
الليبرالي، وهو الفكر الذي يرجع تاريخه إلى  
سنة ١٨٥٦.

الناس أحرار حينما لا تعوق تصرفاتهم  
عقبات يضعها الآخرون في طريقهم. غير أن  
هذا النوع من الحرية مطلوب وله ما يبرره  
أخلاقياً فقط في حالة امتناعه عن تدمير  
المبدأ في حد ذاته.

يعتقد الليبراليون أن حرية التصرف تنتهي  
عندما تلجأ هذه الحرية إلى القوة والقسر  
من أجل تقويض نفس الحرية ذاتها التي  
يتمتع بها الآخرون.

ويعتبر ناومان من أهم السياسيين والناشرين الليبراليين والذي  
اهتم بشكل كبير بالمواضيع الخاصة بالتعليم السياسي  
للمواطنين. فقد أسس في عام ١٩١٨ مدرسة المواطنة في برلين  
وهي إحدى أولى المؤسسات التي تعنى بالدراسات السياسية  
في أوروبا. وكان ناومان ذو قناعة عميقة بأن الديمقراطية يمكن  
أن تنجح فقط عندما يكون للمواطن دوراً فاعلاً في المجتمع.  
وحسب ناومان فإن غياب الديمقراطية يعني عدم إمكانية تحقيق  
المبادئ الليبرالية التي يؤمن بها. وبهذا يكون فريدريش ناومان  
بمثابة الأب المرشد للديمقراطية الليبرالية الحديثة في ألمانيا.  
وتعمل المؤسسة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط  
كما في الشرق الأوسط ومنطقة المغرب العربي منذ عام ١٩٦٤.  
وتقوم الوزارة الألمانية الفدرالية للتعاون الاقتصادي والتنمية  
بتمويل المؤسسة مادياً. تدير المؤسسة حالياً عدداً من المكاتب  
في الجزائر وفي مصر (الإدارة الإقليمية) وفي فلسطين/إسرائيل  
وفي الأردن ولبنان والمغرب وتونس وتركيا. ويتخذ الدعم في هذه  
الدول شكل الشراكة مع مؤسسات وطنية ومبادرات محلية في  
إطار الحوار الإقليمي الأورومتوسطي.

بدأت المؤسسة عملها في فلسطين عام ١٩٩٤ وفي إسرائيل  
في عام ١٩٨٣ من أجل تدعيم مبادئ الديمقراطية والمفاهيم  
الليبرالية والحوار بين الشعوب ومسيرة السلام. وبالرغم من  
المصاعب والانتكاسات والأمال المحبطة خلال السنوات القليلة  
المنصرمة فإن المؤسسة تعتبر التوصل إلى حل شامل وعادل في  
المنطقة هدفاً مهماً لجهودها كما توجت المؤسسة الرغبة في  
تحقيق التفاهم المتبادل والتسامح والتعايش بصورة رمزية وذلك  
عن طريق دمج مكتب فلسطين وإسرائيل في مكتب واحد يقع  
على خط الهدنة التاريخي بين القدس الشرقية والغربية.

### العنوان:

مؤسسة فريدريش ناومان

طريق شعفاط ١٧

القدس

### العنوان البريدي:

مؤسسة فريدريش ناومان

صندوق بريد ١٨١٣٣

القدس ٩١١٨٠

هاتف: +٩٧٢ ٢ ٥٣٢ ٦٠٨٠ / ١ / ٢ / ٣

فاكس: +٩٧٢ ٢ ٥٣٢ ٦٠٨٤

البريد الإلكتروني: [naumann.palestine@jerusalem.fnst.org](mailto:naumann.palestine@jerusalem.fnst.org)

[naumann.israel@jerusalem.fnst.org](mailto:naumann.israel@jerusalem.fnst.org)

موقع الشبكة: [www.fnst.org](http://www.fnst.org) [www.meda.fnst.org](http://www.meda.fnst.org)

القوة والنهب والقسر من أجل تحقيق هذا الهدف. وعلى  
العكس. تساعد الحرية في استئصال العقبات التي تواجه  
جمع الثروة. الأمر الذي تسبب على مدار التاريخ في استئثار  
الفقر والجوع. بل إن انتشار الثراء في القرن التاسع عشر  
لم يتحقق دون نهوض الحرية الاقتصادية. وقد كان قهر  
الجوع قصة نجاح الحرية الحقيقية. ففي الدول التي  
تسود الحرية فيها ترتفع معدلات متوسط العمر المتوقع  
ومستوى المعيشة عنها في الدول التي لا تتمتع بالحرية.

فلا يمكن لدولة أن تزدهر اقتصادياً ولا ثقافياً ولا فكرياً بدون  
الحرية. فتبادل الأفكار الحر في بيئة تنافسية هو الأمر  
الوحيد الذي من شأنه إنتاج أشخاص مبدعين واثقين من  
أنفسهم قادرين على دفع العلوم والفنون إلى الأمام.

غير أنه في الواقع وعلى الرغم من التقدم الذي تم  
إحرازه لا تزال الحرية مدينة فاضلة غير مكتملة. فهي  
المدينة الفاضلة الوحيدة التي لا يحيا الفرد فيها تابعاً  
لرؤية للمجتمع. بل يشكل نقطة ارتكاز كافة المساعي  
الاجتماعية.

## مؤسسة فريدريش ناومان

مؤسسة فريدريش ناومان هي المؤسسة الألمانية  
للسياسات الليبرالية، وهي فاعلة في كافة أنحاء العالم  
من أجل ترسيخ مفاهيم الحرية الفردية وسلطة القانون  
وحقوق الانسان واقتصاد السوق الحر. تأسست مؤسسة  
فريدريش ناومان في عام ١٩٥٨ من قبل ثيودور هوبس والذي  
شغل منصب أول رئيس ألماني (١٩٤٩-١٩٥٩) في فترة ما  
بعد الحرب العالمية الثانية، كما شارك في تأسيسها عدد  
لا بأس به من المفكرين الليبراليين في تلك الفترة. وقام  
المؤسسون بتوجيه المؤسسة على الأسس التي وضعها  
فريدريش ناومان في كتاباته و أعماله (١٨٦٠-١٩١٩).

"جيدة" (مثل حرية التعبير) وحرية "سيئة" (أساساً الحرية الاقتصادية). غير أن الليبراليين عادة ما يعتقدون أن الحرية لا تقبل التقسيم.

"الحرية الاقتصادية ليست مضمونة دون الحرية السياسية في حين تجد الحرية السياسية أمنها فقط في ظل الحرية الاقتصادية."  
يوجين ريختر ١٨٩٤

يشمل مفهوم الحرية الاقتصادية التي لا يمكن لأي نوع من الحرية أن يوجد دونها.

غير أن هذا لا يعني أن أنصار الحرية لا يكثرثون برفاه إخوانهم من بني البشر. ذلك لأن التضامن والحرية لا ينفيان بعضهما البعض. بل إن التضامن الحق مستحيل تحقيقه دون حرية. ولا يعتقد الليبراليون أنه من الخطأ السعي من أجل تحقيق الثراء والغنى المادي. ولكنهم يرفضون استخدام القوة والنهب والقسر من أجل تحقيق هذا الهدف. وعلى العكس. تساعد الحرية في استئصال العقبات التي تواجه جمع الثروة. يشمل مفهوم الحرية الاقتصادية التي لا يمكن لأي نوع من الحرية أن يوجد دونها.

غير أن هذا لا يعني أن أنصار الحرية لا يكثرثون برفاه إخوانهم من بني البشر. ذلك لأن التضامن والحرية لا ينفيان بعضهما البعض. بل إن التضامن الحق مستحيل تحقيقه دون حرية.

ولا يعتقد الليبراليون أنه من الخطأ السعي من أجل تحقيق الثراء والغنى المادي. ولكنهم يرفضون استخدام

من اليسير والمناسب جداً كما نعلم جميعاً إرضاء غرائزنا الدفينه بمعارضة الحرية. حتى ولو كانت النتائج كما هي العادة كارثية بشكل غير مقصود على المستوى الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي.

فالحرية كما يتفهمها الليبراليون تضع الكثير من المطالبات الأخلاقية الصارمة على الفرد. لذا ليس من المدهش أن يرغب بعض الأشخاص من أصحاب النوايا الحسنة في خفض هذه المقاييس. كما أنهم يرغبون في إعادة تعريف مفهوم الحرية مع التخفيف من حدته.

لا يمكن لأي إنسان أن يرغبني على أن أكون سعيداً وفقاً لمنظوره عن رفاه الآخرين. لأنه من الممكن أن يسعى كل فرد لتحقيق سعادته بالطريقة التي يراها مناسبة طالما أنه لم يتعد على حرية الآخرين في السعي لتحقيق غاية مشابهة لغايته. بشكل يسمح بتحقيق وفاق مع حريات الآخرين في ظل إطار القانون العام الساري. أي أنه يتعين أن يمنح الآخرين نفس الحق الذي يتمتع به.  
إيمانويل كانط. ١٧٩٤

في هذا السياق كثيراً ما يسمع المرء عن الحرية السياسية "الإيجابية".

مثل تقرير المصير المشترك الديمقراطي الأكبر أو حتى الحرية "المادية" ألا وهي الحرية الاجتماعية. عادة ما يمد هذا الشكل من أشكال الحرية من قبضته بشكل تعسفي ويحكمها على الأشخاص الآخرين وعلى ممتلكاتهم بشكل يتعارض مع المفهوم الليبرالي للحرية.

بالإضافة إلى ذلك كثيراً ما يكون مناصري هذا المفهوم المخفف عن الحرية شغوفين بتقسيم الحرية إلى حرية

بمعنى آخر نحن بحاجة إلى تعريف أكثر دقة لنطاق الحرية التي تحق لكل مواطن. الأمر الذي يعني ربط حدود الحرية بالحق في الملكية. فالحرية لها أساس عندما يمارسها الفرد في ظل مجال شرعي.

لذا لا بد أن تسري قاعدة عامة قائلة بأنه لا يحق لأي فرد التصرف في شؤون أي فرد آخر وملكيته إلا إن تم منح هذا الحق في التصرف بشكل طوعي.

وحسبما يقول الفيلسوف الإنجليزي والأب الأصلي للفكر الليبرالي جون لوك. تنشأ الحرية من الملكية (رسالتين حول الحكم. ١٦٩٠ - Government on Treatises Two).

ولا تعد هذه فردية تملكية كما يعتقد بعض النقاد. بل هي في الواقع مسألة تتعلق بتعريف مجال تحرك الفرد. وما يعنيه لوك هنا بشأن الملكية يتلخص بشكل ممتاز في الاصطلاح الأمريكي "ملكية الذات".

وما زلنا نبعد تمام البعد عن وضع مثاليات الفكر الليبرالي المتعلقة بالحرية موضع التنفيذ والممارسة.

فعلى الرغم من التقدم الذي أحرزناه لا تزال النظم القمعية قائمة (التي عادة ما تدعمها الدولة). وهي النظم التي تقتل وتجرح وتسجن وتسلب الأشخاص أو تحرمهم من حق تقرير المصير.

هل هناك أي مبرر من أجل تقويض الحرية؟  
أليس من الحقيقي أن العديد من الأشخاص يشعرون بأنهم مهددون بدرجة كبيرة من جانب من يختلفون عنهم حتى إنهم يرغبون في استبعادهم بالقوة؟

ألا يعتقد الكثيرون بأنه من الصواب حماية الآخرين من إلحاق الضرر بأنفسهم (مثل استخدام المخدرات) حتى ولو كان هؤلاء الأشخاص يتصرفون وفقاً لرغبتهم الشخصية؟

ألا يرغب العديد من الأشخاص إرغام الآخرين على الشعور بالسعادة حسب نفس مفهومهم عن السعادة؟